ثقافة

الياس خوري

وجه الشاعر

يعود وجه الشاعر عبد الرحيم محمود ، وقد تبلل بندى التراب ، محمولا على قصائده التي يجمعها ، لاول مرة ، بشكل متكامل تقريبا كتاب واحد . يعود ، لنقف أمامه ، نقرأ الشعر الذي كتب بالبنادق والدماء ، ولا نستمع الى الشعر . نرى شكلا هو أجمل من كل القصائد ، جسد الشاعر وهو يرسم في سقوطه على الارض ، لوحة ثقافتنا الفلسطينية الجديدة . لم تنتج فلسطين أدبا عظيما ، بل انتجت ادباء عظماء . عظمتهم انهم لم يذهبوا الى الادب ، ذهبوا الى الحرب ، فجاء الادب اليهم وقد تبلل بدمائهم . ذهبوا الى الثورة، وعلى ايقاع دماء الجماهير التي قاتلت وتقاتل ، جاء الشعر نشيدا ، ودعاء . هذا الشعر الذي يفجر ولا ينفجر ، يمطر ولا يعصف ، هو شعر البدايات التي عادت فنبتت في صوتنا الشعري ادبا مقاتلا ، يفجر بنية الادب فيما ينفجر جسد الاديب على التراب . هذه المعادلة رسمتها ممارسة عميقة الجذور في التراب ، هي ممارسة الجيل الذي لم يحصد من الشعر سوى مجد الموت . رغاق القسام الذين حددوا الطريق الذي يسير عليه كل وطني من بعدهم. هذه الكوكبة من فرسان تاريخنا ، الذين بنوا بأجسادهم امكانية الخروج من ذل يطوقنا ، هم الذين أصبحوا في كلمات عبد الرحيم محمود نشيدا مستقبليا .

بين الوطن والموت ، هناك حد واحد هو جسد الشاعر :

« سأحمل روحي على راحتي
وألقي بها في مهاوي الردى
فاما حياة تسر الصديق
واما ممات يغيظ العدى
ونفسي الشريف لها غايتان
ورود المنايا ونيل المنى »

هذا الحد ، هو الكلمة المختصرة التي تلخص. لا تبدع او تنفجر ، لكنها تحمل تجربة حقيقية ، ومعاناة شعبية كاملة . فهو « الفتى » الذي يحتقر الموت ، ويمد له جسده . فحين يصف مصرعه في الفلاة ، يقيم احتقارا للموت نفسه ، من خلال موقف وطني :

« وبان على شفتيه ابتسام
معانيه هزء بهذي الدنى »

الشعر ، الخطابة ، والالتزام

في صوت عبد الرحيم محمود ، تقف مرحلة كاملة ، كان الشعر فيها هو ميدان الخطابة الامثل . كان الشعر هو الخطابة حين تأخذ معنى تراثيا عميق الجذور . فحين يأتي شعره الخطابي مليئا بالالتزام ، وداعيا الى وضع النقاط على الحروف تحت شعارات مرحلة وطنية ، فانه يأتي تعبيرا عن هذه المرحلة واستشرافا لافاقها . فالشعر حين يريد أن يكون سلاحا مباشرا ، يلجأ الى تراثه القديم ، ويصبح نشيدا للقتال . ففي الثلاثينات والاربعينات حين كتب محمود غالبية أشعاره ، كان المقياس الاساسي للشعر هو مدى قدرته على الخروج من شروط الانحطاط ، ومدى قدرته في الوقت نفسه على التعبير عن هموم

---

* **ديوان عبد الرحيم محمود** . جمع القصائد وقدم للديوان الدكتور كامل السوافيري . اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين — دار العودة. بيروت ١٩٧٤ .